العيافة عند عوام العراق

Les Augures chez les Irâquiens.

—٢—

٢ــ عيافة الطيور

الغراب

هو طائر مشؤوم في نظر العامة فاذا نعق قالت النساء : « خير يكون وشر يزول، والف صلوة على الرسول، ان جنت غراب، طم نفسك بالتراب ، وان جنت بشير، ذبه من جناحك وطير » اي « عسى ان الخير يكون والشر يزول ، والف صلوة على الرسول ، ان كنت غرابا فادفن نفسك في التراب ، وان كنت بشيرا فارم بشارتك من جناحك وطر » .

والعامة تعد قول من يقول احدهم للاخر : « انت غراب » شتما ومن اعذب ما قاله الشاعر :

« ما غراب البين إلّا ناقة او جمل »

لانهم يعدون الغراب مفرقا للاحباب .

العقق

طائر يشبه الغراب الابقع طويل الذنب إلّا انه لا يتشاءم منه ، واذا صاح قالت النساء « خير خير » وينتظرن قدوم ضيوف .

البازي

طائر مشهور يضرب به المثل في الشجاعة . ومن عادته ان يقوم من وكره قبل انبلاج الفجر والى ذلك اشار بشار بن برد الشاعر الاعمى الشهير من قصيدة له في مدح خالد بن يحيى البرمكي :

اذا انكرتني بلدة او نكرتها خرجت مع البازي علي سواد

والخرافيون من الرجال يعتقدون ان من يصادف البازي في سفرته يصادف اقبالا ونجاحا عظيمين .

الصقر

طائر مشهور يضرب به المثل في الشجاعة والاقدام فيقال « فلان كالصقر » والعامة تقول « فلان صكرهم » اي « فلان صقر اعدائه » إشارة الى انه لمعهم او تسلط عليهم لان انواع الطيور اذا سمعت صوت الصقر أو رأته لبدت في الارض وارتعبت خوفا منه . والعامة تعتقد ان الذي يجني الصقر عشر سنوات لا يهرب خلالها من بيته يلاقي بعد ذلك فرحا وحبورا في دنياه .

الططوة « اي الطيطوى » (١)

الططوة طويئر يسميه الفرس وسكنة كربلا « بي بي ديلم » اي « ياسيدتي رايت » ويسميه اهل البادية « بلبل الزور » وصوت هـذا الطويئر نغم شجي فاذا مر ليلا على البيوت قال سكانه « سيقدم غائبنا » ومن يقول في العراق للاخر « عقلك عقل الططوة » فانه يغضبه لانه يعد هذا الكلام من الشتم .

يا كريم

طائر جميل يسميه البعض « القمري » والبعض « يا كريم » لتغنيه بشيء على وزن « يا كريم » وفي معتقد النساء انه لا يجوز ان يحبس هذا الطويئر لانه يسبح الله ؟! ولذا يتشاءمون باقتنائه وهـذا الطائر اسمه عند العلماء Turtur Risorius.

البرهان

طائر ذو ساقين دقيقتين طويلتين والنساء يتشاءمن به لانه كالاقرع اذ ليس على رأسه إلا ريش ناعم دقيق ويعتقدن ان من يراه عند الصباح يرى شؤما ومنكرا ويعرف عند الافرنج باسم Agami .

العصفور

محبوب من الجميع والنساء يتفاءلن به خيرا ويعتقدن انه اذا اجتمع العصافير وتناقرت ثم تفرق جمعهم وسقط احدها على رأس احد سكان البيت اصابه خير عظيم وقدم اليه غائب .

(١) الططوة وردت عند العراقيين بعدة معان: منها معنى الطويئر المسمى بالفرنسية Bouvreuil وهو المبحوث عنه هنا ومنها بمعنى Chevalier وبالانكليزية Sand-Piper وبهذا المعنى يعرفه الاعراب وهو تحريف الطيطوى الكلمة الفصحى ، ومنها بمعان اخرى تختلف باختلاف الديار والعشائر . (لغة العرب)

وهناك مثل شائع على افواه العوام «زعل العصفور على بيدر الدخن زاد الف طفار» اي غضب العصفور على بيدر الدخن فزاد الف تيغار «والتيغار يختلف اليوم قدره بين الف و ١٥٤٠ كيلغراما» يقال ذلك للحقير إذا غضب فانه يوفر على القوم طعامه.

الديك

يحب النساء الديك الابيض الافرق ويعتقدن انه احد جنود ديك العرش. وهذا الديك مقامه في السماء السابعة تحت عرش الله وهو الذي ينبه الملائكة ليصلوا صلاتهم في الاوقات الخمسة. كما انه يطرد الجن من المكان الذي يكون فيه ويعتقدن ايضا ان صياحه اذان وان اذن في غير اوقاته المعلومة قلن انه (يد يمن) اي شؤم والفرس يسمونه (خروس بي محل) اي الديك الذي يصرخ في غير اوانه ويذكرونه عندهم لن يتكلم في غير اوانه وعلى هذا فاما يذبح واما يتخلص منه بالبيع او بوسيلة اخرى.

واذا خرجت الدملة المعروفة «بالاخت» عند العراقيين في وجه الطفل او في يده او في محل آخر تأخذ المرأة غشاء كبد الديك وتحرقه ثم تمزجه بزبد البقر وتضعه على «الاخت» معتقدة ان هذا المزيج يزيلها. ويزعمن ايضا انه اذا احرقت رجل الديك مع الشعير ووضع هذا الخليط على المكان المحروق من الجسد يبرأ باذن الله.

واذا علقت سبع ريشات من الديك الابيض عند رأس الطفل ولى الشيطان عنه.

الدجاجة

الدجاجة السوداء التي ليس في ريشها ريشة بيضاء تكون ذات قيمة لدى النساء فقد ينهالكن على اقتنائها للحصول على بيضتها التي يستعملنها لوجع الرأس، والسن، وللطفل اذا «اخترع» (اي فزع فزعا فجائيا) فعندئذ تكسر البيضة في المحل الذي خاف فيه الطفل، أو تدفن مع مسمار وكعب «عظم» وفلس احمر لينهب عنه رعبه ويعود اليه روعه!

ويتفاءل النساء بالدجاجة التي تبسط جناحيها فتتبطح في الشمس: فانهن يقلن «خمت الدجاجة» ويعتقدن ان غائبا سيحضر واذا خرجت ريشة واحدة من موضعها قلن: «سيفت الدجاجة» «من باب التفعيل» واعتقدن انه سيقدم لهم ضيفه فارس شاكي السلاح.

البوم

هو طائر جميل الشكل عند اناس ، قبيح الصورة عند آخرين وهو يختفي في النهار ويطير في الليل . والعامة تعتقد فيه الشؤم والشر ؛ والدليل على ذلك انهم يعدون قول احدهم للاخر : « انت بومة » او « وجهك وجه البومة » او (بومة الديار) او (بومة الخرائب) شتماوسبابا . ومن عادتهم اذا صرخ هذا الطائر ليلا ومر على البيوت صفقوا بايديهم مرات وصرخوا قائلين : « سكين وملح » . وبعضهم يعتقد ان في صياحه اشارة الى ان غائبا يحضرعند اهله وهناك اسطورة شائعة على افواه العوام ، مغزاها : ان البوم هو الذي جعل « كسرى » يكون عادلا : بعد ان كان ظالما سفاكا للدماء .

وهذه الحكاية ينقلها الرجال الخرافيون والعجائز الخرافيات وهي: كان احد الاكاسرة ظالما فتاكا يراح الى سفك الدماء وازهاق الارواح وكان له وزير وهبه الله حظا وافرا من العقل والفطنة والتدبير فأرق كسرى ذات ليلة ارقا شديدا وكان الوزير يتمشى معه على سطح القصر ويقص عليه اخبار الاولين ووقائع الاقدمين فوقف كسرى بغتة محولا نظره الى الجنة المحيطة بقصره وقال للوزير : ألا تسمع صراخ هاتين البومتين؟ فقال له الوزير :بلى . فقال ليتني اعلم ماتقولان فقال الوزير : اني اعرف منطق الطير وقد فهمت الحوار الذي دار بينهما ، إلا اني اخشى ان اقصه على الملك لئلا يسخط علي ويغضب . فقال له كسرى : قل ، ولك الامان .

فقال الوزير : ان احدى هاتين البومتين خاطبت صاحبتها قائلة : اني اريد ان اتخذ ابنتك زوجا لابني.فقالت لها الاخرى : انني راضية بما تقولين ولكنني اريد سبعة بيوت خربة مهرا لابنتي فاجابتها رفيقتها : « ماطول كسرى كسرى ما تعمر ديار » اي ما دام كسرى في قيد الحياة فلا تعمر ديار اي خذي ما شئت لابنتك من البيوت الخربة .

وتعتقد العامة ان الوزير اراد ان يفهم الملك ظلمه وسوء سلوكه على لسان الطير. فاعتبر الملك بكلام الوزير وهجر الظلم والعسف وعدل عنه منذ ذلك اليوم ورأف بالناس ورحمهم وقد اصبحت كلمة « ماطول كسرى كسرى ما تعمر

ديار » مثلا شهيرا يتمثل به العوام من الناس :

« ما طول كسرى كسرى يا ويلها من الخراب »

٣ ـ الزواحف

الحية

اذا ظهرت الحية في بيت احد يوم السبت قالت النساء : انها يهودية ، وعندئذ تقف صاحبة البيت وتقول : « سايمين عليج موسى بن عمران اطلعي من بيتنا » اي « نقسم عليك بالنبي موسى بن عمران ان تخرجي من دارنا » .

واذا ظهرت يوم الاحد قالوا انها نصرانية فيبدل القسم بعيسى بن مريم .

اما اذا ظهرت يوم الجمعة او في سائر الايام الاخرى قالوا انها مسلمة وفي هذه الحال يضعون في المكان الذي خرجت منه ماء وملحا في اناء ويقولون: « اكلت من زادنا وملحنا ، وانها لا تقصد بعد ذلك ايذاءنا .»

والحية التي تظهر دائما في البيت لا تقتل ، وتسمى « حية البيت » ولها اسطورة عجيبة تقصها العجائز الخرافيات وهي :

يقال ان امرأة ذات ولد ذهبت يوما الى الحمام بعد ان وضعت ابنها في المهد (١) ولما ابطأت في الحمام طفق الولد يبكي ويصرخ ولما جاءت الى بيتها سمعت في غرفتها صوت امرأة تغني لابنها وتقول : « لول لول (٢) يا ابن جويرتي لا لي ايدين لارفعك ، ولا لي رجلين لادفعك ، ولا لي دويس لارضعك ، واخاف احبك (٣) والسعك وتزعل علي جويرتي ، لول لول يا ابن جويرتي . » ومعناه : نم يا ابن جارتي ، لا يدين لي لارفعك بهما ولا رجلين لادفعك بهما اي لاهز مهدك بهما ولا ثدي لي لارضعك واخاف ان اقبلك فالسعك فتغضب علي جارتي . نم يا ابن جارتي » .

فلما دخلت المرأة على ابنها ، رأت الحية بجانب المهد ، وللحال اختفت الحية عن انظار المرأة فاعتقدت ام الولد بان هذه الحية من الجان وانها مسلمة ولا تقصد الايذاء بل السكنى في البيت فاطلق عليها اسم حية البيت . وهناك اسطورة

(١) المهد يسمى بلغة العوام (كاروك) . (٢) لول لول اغنية النساء عند هز المهد .
(٣) النبلة بلغة العوام حية وحبه : قبله .

اخرى حدثني بها احد الشيوخ الحرافيين قال : كان في الحلة الفيحاء رجل فقير مملق وكان ذا عيال والدهر عابسا في وجهه . فصمم ذات يوم على ان يشد الرحال الى بيت الله الحرام وان يزور بعد ذلك الرسول الاعظم ليشكو له فقره : فذهب مع الركب راجلا ولما وصلوا الى منتصف الطريق نام الركب ليلته طلبا للراحة . ولما كان الصباح استيقظ الرجل فدهش حين شاهد حية طويلة عظيمة ملتفة حوله . وكان للرجل بندقية ولما تململ للوثوب اشارت اليه الحية ان يتبعها فتبعها حتى وصلا الى كهف فاشارت اليه الحية بالدخول . فدخل : فشاهد عقربا عظيما يتحفز للوثوب على حيات صغيرة . فعلم الرجل ان هذه الحية جاءت تستنجد به لينقذ فراخها من هذا العقرب فصوب الرجل بندقيته الى العقرب فقتله ففرحت الحية ورفعت رأسها اليه شاكرة ثم ضربت بذنبها على الارض مشيرة اليه بالحفر فحفر الرجل وعثر على بستوقة (جرة مدهونة الباطن والخارج) مملوءة ذهبا فحملها وجاء بها الى بيت الله شاكرا وزار الرسول مسرورا ورجع الى بلده فقص على وطنيه هذه الواقعة فسموا منذ ذلك اليوم « بيت ابو حية » .

وهناك اساطير وخرافات اخرى يضيق بنا المقام عن ذكرها ومن امثال العوام « لسان الحلو يطلع الحية من الزاغور » اي « الكلام الطيب يخرج الحية من الثقب » ومنها : « حجاية الحية ما تخلص » اي « حديث الحية لا ينتهي » لانه كلما ذكر احدهم شيئا منه زاد الاخر حديثا جديدا . ومنها « الحية وراك » يقال لمن تتم كلماته ونظراته عن حسد وتقولها العامة كثيرا اذا شاهدت القرد فيقولون : « شادي وراك الحية » . (والشادي هو القرد عند العراقيين)

وقد استظهرت وانا صغير دعاء من فم احدى الخرافيات المرحومة « الملاة جدعة » وكانت مهنتها قراءة مأتم الحسين . وهو :

اعوذ برب السها والسهية ، من كل شر عقرب ورتيل وحية ، شجع قرني شجع قرني شجع قرني ، يا نوح يا نوح يا نوح ، سلام على نوح في العالمين ، سلام على طه وياسين .

وكنت قد سألتها ما السها والسهية وما شجع قرني ؟! فقالت ان السها والسهية نجمان في السماء يرصدان الحيات والعقارب ، واما شجع قرني فانه

شيخ الحيات والعقارب ، ونحن نقرأ هذا الدعاء لينقذنا من شر الهوام ؟!

ويتفاءل المسافر اذا صادف حية عند سفره ومن امثالهم «لو كتلت الحية اسحك راسها» اي ان قتلت الحية اسحق رأسها ، لانهم يعتقدون كما يعتقد العلماء انها لا تموت ما لم يسحق راسها والى هذا المعنى اشار الشاعر :

لا تقطعن ذنب الافعى وتتركها ان كنت شهما فالحق رأسها الذنبا

٤ ـ الحشرات

العقرب

قتلها أجر (ثواب) ، ومن قتلها فكأنما قتل كافرا ؟! ويضرب بها المثل في اللؤم فيقال : فلان عقرب اصفر والفرس يعتقدون انها لئيمة ومؤذية .

الزنبور

من يقتله له ثمرة في الجنة !

٥ ـ النبات

الاشجار

شجرة النبق او السدرة

والعوام يسمونها (نبكة) بالكاف الفارسية والنساء وبعض الرجال يعتقدون ان هذه الشجرة (مسكونة) اي يأوي اليها الجان ولذلك تحجم العامة عن قلعها واذا طالت اغصانها فيكتفون بتزبيرها فقط وقد جاء عنها في الحديث : « قاطع السدر ملعون » والاصل فيه منع قطع السدرة التي يأوي اليها الناس اثناء اسفارهم ولكن الجهل عمها لكل السدر .

الخروع

يتشاءم النساء بزرع الخروع في البيوت لانها (يد يمن) اي مشؤومة .

الدفلى

يحبون زرعها في فناء البيت لطرد الشر ومقاومة (النفس) و (العين الصائبة) .

الكرم

يغرسونه في البيوت لان عرقه اصيل ولان فيه سرا يحرس البنين والبنات إلا انه لا يصح ان يتصدق بالعنب كخيرات لارواح الاموات لان عصيره الخمرة .

اليقطين

يستحب أكل اليقطين مطبوخا والنساء يعتقدن ان فيه شفاء وهو مبارك ومقدس لانه ستر جسد النبي يونس يوم خرج من بطن الحوت والحديث الوارد : ياعائشة اذا طبختم قدرا فاكثروا فيها من (الدباء) .

التمر

يستحب التصدق به على الفقراء كما يستحب الافطار عليه ولذلك يفطر الزاهدون المتعبدون في شهر رمضان على تمر .

بغداد احمد حامد الصراف

﴿ البرسام في « البستان » ﴾

ذكرنا في ص٤٢٩ من هذا الجزء بعض ماجاء في مادة برسم . وقوله: «اصيب بعلة البرسام » لم يقله احد ولا يقوله من له ادنى وقوف على مصطلح اللغة . ذلك لان بناء لفظ البرسام يفيد الداء فقوله « اصيب بداء البرسام » حشو ولغو والصواب : اصيب بالبرسام . ثم قال : « البرسام بالكسر ... مركب من بر [وضبطها بكسر الباء] بالفارسية وهو الصدر . وسام وهو الموت » ـ قلنا : قوله : بر (بالكسر) هو الصدر بالفارسية خطأ يراه كل من له ادنى اطلاع على الفارسية فالحرف الذي يعني الصدر بالفارسية هو بر (بفتح الباء) وقوله سام هو الموت . كلام مصحف والعبارة عبارة صاحب تاج العروس نقلا عن لسان العرب . والفرس الاقدمون ما كانوا يركبون اللفظ الواحد من فارسي وعربي بل يتخذون صدر المركب وعجزه من لغتهم . « وسام » في لغتهم الالتهاب والداء الشديد الالم والنار فيكون معنى برسام (وهي عندهم وزان بغداد) وكذا ضبطها الازهري التهاب الصدر اي التهاب حجاب الصدر . فاحفظه .

وقال : « لم يرد هذا الحرف [مثل برسم] معلوما في غير محيط المحيط واقرب الموارد من كتب اللغة » . وذكرنا له معجم قريتنا ونسينا ان نذكر له اسم الزمخشري فقد ذكر هذا الفعل بصيغة المعلوم في كتابه المطبوع مقدمة الادب في ص٢٨١ في السطر ٢ : قال : برسم . اخذه البرسام . وضبطه برسم الشكلات وزان دحرج . ولعل ذلك من غلط الطبع . إلا انه غير مصحح في الاخر .